Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 33:1 (1998)

دور الملكة العقلية في توجيه السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية

وجيهة ثابت العاني

مقدمة :

خلق اللّه سبحانه وتعالى الإنسان خلقا سويا متكاملاً وميّزه وكرّمه ورفعه فوق سائر المخلوقات بملكته العقلية الذي جعله بها مناط التكليف لعمادة هذه الدنيا قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِيْ أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾[2]. كما وإن خلق الإنسان منذ البداية لغاية محدّدة هي عبادة اللّه عزوجل قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ**﴾[3] وجعله اللّه مؤهلاً لذلك وعرّفه على نفسه منذ البداية ولم يتركه لفكره ليتعرف على ربه بطريق التفكير والتأمل فكانت الشرائع السماوية المنزّلة من عند رب العالمين، فأرسل إليه رسلاً مبشرين ومنذرين بدعوة واحدة لُبّها التوحيد[4] قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِيْ الْآخِرَةِ مِنَ**

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

﴿الْخَاسِرِيْنَ﴾[٥] وبذلك تمكّن الإنسان من الابتكار والتقديم وتطوير أساليب حياته وحمايتها من الأخطار المحيطة به وهذا يعود إلى ما كرم اللّه به الإنسان وفضّله أن وهبه القدرة على التعلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ﴾[٦].

يولد الإنسان في عالمنا هذا وهو مزود بالاستعدادات الفطرية والعقلية، فالفطرية منها تعمل عمل الغرائز لاتحتاج إلى تعليم، فهي تعمل تلقائيا موجهة إلى عبادة اللّه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ﴾[٧] وكما في قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه"[٨]. فالفطرة قد يصيبها النسيان أو الانحراف نتيجة البيئة الغير صالحة المحيطة بالفرد، ورحمة من اللّه سبحانه وتعالى وعطفا على الإنسان بعث الرّسل والأنبياء وختمهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لتذكير الناس بالخالق عزوجل وإرشادهم نحو الطريق الصحيح قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[٩].

أما ملكة العقل التي ميّز الله سبحانه وتعالى بها الإنسان عن سائر المخلوقات لما لها من خصائص ومميزات تُمكن الإنسان للقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الْأَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْا أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيْ أَعْلَمُ

مَالاَ تَعْلَمُوْنَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُوْنِيْ بِأَسْمَآءِ هَـؤُلآءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ. قَالُوْا سُبْحَانَكَ لاَ عَلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ. قَالَ يَآ آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ﴾[١٠]. ولعل هذا يشير إلى حقيقة الرسالة التي ينبغي أن يضطلع بها الإنسان في حياته وهي القيام بمهمة الاستخلاف، كما وإن القدرة العقلية على تحصيل العلم من الركائز الأساسية لتحقيق هذه المهام. فالعقل صفة قائمة في الإنسان فهو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة[١١-١٢]، كما وإن العقل هو من أدوات الإنسان للنظر في ملكوت السماوات والأرض، فآيات القرآن الكريم نجدها تحرك العقول للنظر والتبصير والاعتبار قال تعالى: ﴿وَفِيْ الْأَرْضِ ءآيَاتٌ لِلْمُوْقِنِيْنَ. وَفِيْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُوْنَ﴾[١٣]. كما وبيّن القرآن الحكيم مسؤولية الملكة العقلية عن تصرفات الإنسان وأفعاله قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[١٤].

فالعقل كما عرفه بدوي هو "ملكة الإدراك المنطقي السليم وأداة المعرفة العلمية" فهو المسير الذي يرشد الحواس إلى المسالك الصحيحة والمفيدة فهو طاقة من طاقات الإنسان طاقة التفكير والتدبر يرتبط مرة بالسمع ومرة بالبصر ومرة بالأفئدة فهو الملكة التي

يستطيع بها الإنسان القيام بمختلف العمليات العقلية ومختلف أوجه النشاط العقلي على اختلاف مستوياته كعمليات الإدراك الحسي، وإدراك العلاقات بين الأشياء المحسوسة والتذكر والتعرف والفهم والتصرف والتحليل والتعلم وإدراك المجردات والاستدلال وغيرها من العمليات العقلية(١٥)، مما جعلها الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً فأوجب الله التكليف بكمالها وجعل الدنيا مديرة بأحكامه، فالإنسان العاقل أقرب إلى ربه، فوضع على الملكة العقلية مهمة إدراك المسؤولية، وتحمل تكاليف الأمانة والتعويل عليها من أمر العقيدة ليصل إلى اليقين قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوْنِ يَاأُوْلِى الأَلْبَابِ**﴾(١٦). وبما أن الإنسان مكلف فهو مطالب من الله سبحانه وتعالى بتوظيف طاقته العقلية حسب ما تسمح به قدراته واستعداداته قال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾(١٧)، تلك الطاقة إذا ما تجاوزت حدودها هلكت واضطربت، ولو لا تفاوت قدرات وطاقات الإنسان لما استقامت الحياة فنحن خلقنا لنتكامل، وعلينا أن نوجه طاقتنا العقلية إلى استخلاص الطاقة المادية التي ذللها الله سبحانه وتعالى لنا قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُوْلاً فَامْشُوْا فِيْ مَنَاكِبِهَا وَكُلُوْا مِنْ رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُ**﴾(١٨)، وبالرغم من أن التفكير خاصية فطرية في الإنسان، إلا أنه يجب العمل على تفعيلها وتحسينها وتطوير مستواها، فهناك من يشبه العقل كالشجرة، تنبت منذ يوم ولادة الطفل ولا تعطي ثمارها إلا بعد البلوغ، غذائها العلم والإيمان، فالإنسان يولد، وهو مزود بالاستعدادات والقدرات التي تؤهله لأن

يدرك وأن يعرف، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾(١٩).

خص الله سبحانه وتعالى الإنسان بوظيفة الإدراك العقلي، علما أن الإدراك الحسي وظيفةٌ أخرى يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان، لذا فتعد الملكة العقلية من عناصر التميز بين الإنسان وغيره من المخلوقات الأخرى، فالإنسان يعلو بإدراكه عن الأشياء المحسوسة فيفكر في المعاني المجردة كالخير والشر، الحق والباطل، الفضيلة والرذيلة، كما ويستطيع استخلاص الكليات من الجزئيات، واستنباط النتائج من المقدمات وإصدار الأحكام وأن يستدل على المبادىء العامة من الملاحظات والتجارب(٢٠)، فكمال الملكة العقلية تمكّن صاحبها من إدراك الخير والشر وحقيقتهما، فيندفع نحو الخير والعمل الصالح ويبعد عن الشر، كما وإن الشخص العاقل هو الذي يستطيع التحكم في أفعاله وسلوكه ويضبطها ضبطاً دقيقاً ويخضعها لأمر الله سبحانه وتعالى وهدى دينه وصراطه المستقيم. فسلوك الإنسان يخضع لقوى داخلية تقودها الملكة العقلية وقوى خارجية بيئية تشمل عوامل ثقافية واجتماعية التي تحيط بالفرد قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيْلَ إِمَّا شَاكِراً وَّ إِمَّا كَفُوْراً﴾(٢١).

وفي ضوء ذلك نجد الفلاسفة العرب المسلمين قد تحدثوا عن العقل ودوره في توجيه السلوك فنجد الرازي عندما تحدث عن اصلاح أخلاق النفس ذكر أن هناك مبدأين هما: ضرورة تحكيم

العقل في الهوى وقمع الهوى والشهوات، فالعقل هو الذي يدرك المنافع العاجلية والآجلة والذي يدرك جميع الأشياء في الوجود والذي يصل به إلى معرفة الله تعالى، أمّا قمع الهوى والشهوات فيكون عن طريق الإرادة التي تميز بها الإنسان عن الحيوان(٢٢).

أمّا الفارابي والذي ميّز بين نوعين من العقول: عقلاً بالفعل والذي يسميه عقلاً بالملكة بالنسبة لما يعقله من معقولات، ومالم يعقله منها فإنها تكون بالنسبة له بالقوة، والإنسان يدرك المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح بقوته العقلية(٢٣)، ويتفق ابن سينا مع الفارابي في أن هناك عقل عملي وعقل نظري، فالعقل العملي هو القوة التي تختص بالرويّة في الأمور الجزئية فيما ينبغي أن يفعل أو يترك، خير وشر، ويستمد العقل العملي قدرته من القوة التي فوقها وهي العقل النظري(٢٤).

أما الغزالي الذي صنّف القوى العقلية إلى قوة عالمة وقوة عاملة يقابلهما العقل النظري والعقلي العملي، فالقوة العالمة هي التي تقوم باستنباط الصنائع والمهن المختلفة، أمّا القوة العاملة هي التي تتولى مسؤولية تدبير البدن بالاشتراك مع القوّة النزوعية والقوة العالمة(٢٥).

أما العقل عند ابن تيمية فهو ليس شيئا قائما بذاته، وإنما هو قائم في العاقل، فالعقل عنده غريزة وهي ثابتة عند جمهور العقلاء والتي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما "إن العقل غريزة وهذه الغريزة

ثابتة عند جمهور العقلاء"، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه[٢٦]. ويتفق ابن القيم الجوزية مع ابن تيمية فيقول إن العقل عقلان: عقل غريزة وهو أب العلم ومربيه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله، الله يؤتيه من يشاء واستقام له أمره، كما ويعرف العقل "آلة كل علم وميزانه الذي يعرف صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه والمآة التي يعرف بها الحسن من القبيح"[٢٧] ويشير ابن القيم إلى حكمة الله تعالى في أن أودع في الإنسان بواعث ومستحثات تدفعه إلى القيام بالأفعال التي فيها قوامه وبقاؤه ومصلحته، فأودع فيه من القوى والشهوة والإرادة ما يوجب حركته الدائمة وسعيه في طلب ما يصلحه، ودفع ما يضره[٢٨].

توجه الآيات القرآنية الحكيمة الإنسان إلى توظيف قدرته العقلية في التأمل والتدبر والتفكير، كما وإن الإنسان في حاجة إلى التعلم لاكتساب المعرفة لكي يُنمِّي قدراته واستعدادته العقلية التي وهبها الله له، كما وإن السلوك النموذجي الذي أمر به الإسلام هو الذي ينبثق من أسس وضعتها الشريعة الإسلامية ابتغاء إيجاد أكبر قدر من الانسجام والتناسق بين الإنسان ونوازعه الفطرية في هذه الحياة وبما تتفق مع المنطق والتفكير الصحيحين[٢٩]. فيدعو القرآن الكريم إلى تربية العقل وتزويده بمختلف الوسائل التعليمية التي تمكنه من التفكير السليم الناضج، والذي يتأمل آيات الذكر الحكيم والتي تدعو إلى تحكيم العقل ودفعه إلى إدراك معاني الحق والخير

والجمال للقيام بالمهام التي كلفه الله بها، وإذا ما انحرف العقل عن الصواب واتبع الشهوات مخالفاً لشرع الله انتشر الفساد وعمت الفوضى، كما وينعي كتاب الله تعالى على الذين لا يستخدمون عقولهم فيشبههم بالدواب العجماوات قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِيْنَ لاَ يَعْقِلُوْنَ**﴾(٣٠). فالعقل الإنساني بما وهبه الله من قدرات ستمكنه من إدراك قوانين وسنن الوجود وتعلمها والتعرف على معانيها وإبعادها ويؤثر فيها ويتأثر بها، كما وإنه محاط بعناية الله ورعايته ضمن ضوابط موجهة من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منذ بدء الخلق وعلى مرّ الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن دور الملكة العقلية في توجيه السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، فالملكة العقلية في التربية الإسلامية هي مناط التكليف وبها يتميز الإنسان عن المخلوقات الأخرى، وبها كلفه الله للاستخلاف على هذه الأرض، فعلينا المحافظة عليها في موقعها من الذات، الذي أراده الله وهي موقع القيادة للذات وليس تابعا لشهواتها كما وهي إحدى الأمور الخمسة التي أوصانا الله أن نحافظ عليها وهي: الدين، النفس، العقل، النسل، المال، فعن طريق الملكة العقلية تصدر الأحكام وتتخذ القرارات وبها يتوجه السلوك الإنساني في الوقت الذي نعيش فيه وهو عصر المعلوماتية والتبدل السريع والتطور العلمي والتكنولوجي، ولما لها

من انعكاس على نمط التفكير الإنساني وطرقه ووسائله وأدواته، من هنا تهدف الدراسة إلى الوصول إلى المستوى الأمثل للسلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية، وذلك من خلال الابعاد التالية:

البعد الأول: موجهات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية.

البعد الثاني: مقومات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية.

البعد الثالث: غايات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية.

البعد الرابع: معايير السلوك الإنساني في ضؤ التربية الإسلامية.

إجراءات الدراسة:

اعتمدت منهجية هذه الدراسة على ما يأتي:

١- الرجوع إلى الآيات القرآنية الحكيمة وما حملت في طياتها من معانٍ تناولت دور الملكة العقلية في توجيه السلوك الإنساني نحو أنماط سلوكية تربوية إسلامية حنيفة فالقرآن الكريم نزل لتخرج البشرية من الظلمات إلى النور فهو كتاب عقيدة وهداية.

٢- الاطلاع على الأدب النظري والبحوث الإنسانية التي تناولت تحليل السلوك الإنساني من حيث مبادئه، دوافعه، اتجاهاته، وطبيعته.

٣- توظيف الآيات القرآنية الحكيمة بمنهجية سلوكية تطبيقه للوصول إلى قواعد وأسس من خلالها يتوجه السلوك الإنساني نحو تحقيق الغاية الأساسية من وجود الإنسان وعلاقته بهذا الوجود محققاً بذلك منهج الله في واقعه.

٤- النظر إلى السلوك الإنسان بنظرة شمولية وتكاملية في ضوء التربية الإسلامية وتقويمية في ضوء القيم العريقة والأصلية والتي انبثقت من مبادئ سماوية خالدة وراسخة للوصول إلى أسس وقواعد يقوم عليها السلوك الإنساني قابلة للتطبيق وفق معطيات العصر العلمية والتكنولوجية فالتربية الإسلامية فرع من الشجرة الطيبة التي وصفها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّفَرْعُهَا فِيْ السَّمَآءِ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾(٣١).

التعريفات الاجرائية:

الملكة العقلية: هي ملكة الإدراك المنطقي وأداة المعرفة العلمية فهي طاقة من طاقات الإنسان طاقة للتفكير والتدبر، ترتبط مرة بالسمع ومرة بالبصر ومرة بالأفئدة، فهي المسير الذي يرشد الحواس إلى المسالك المفيدة والصحيحة.

السلوك الإنساني: كل فعل أو نشاط يصدر عن الإنسان في ظروف معينة لتحقيق هدف أو غاية مرجوّه.

التربية الإسلامية: هي جميع الطرق والأساليب والوسائل المستخدمة لإرساء مبادئ الشريعة الإسلامية والسير بأحكامها العقائدية والشرعية.

الملكة العقلية والسلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية:

توجه الملكة العقلية سلوك الإنسان من خلال ابعاد رئيسية تشتمل على موجهات، مقومات، غايات ومعايير السلوك الإنساني سيتم عرضها كما يلى:

البعد الأول: موجهات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية:

ترتبط موجهات السلوك الإنساني من خلال النظرة الإسلامية للوجود والتي لاتكتمل إلا بتكامل عناصر المعرفة لدى الإنسان وهي الوحي والعقل والفطرة والتي يمكّنه من إدراك معالم التصور الإسلامي للحياة ومنهجية سلوك الذات المسلمة. إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لعباده والفاطر لشهواتهم وعقولهم وهو العالم بالعباد وسلوكهم، كما وإن السلوك السوي هو الذي يؤلف انسجاماً بين مختلف دوافع الإنسان وحاجاته وإن التكامل بين الوحي والعقل تنبع من مبدأ التوحيد في العقيدة الإسلامية(٣٢)، فالعقل سيبقى سليماً في أدائه مادام يسعى ويوجه الإرادة الإنسانية بالعمل والإصلاح ضمن توجيهات الوحي وإرشاداته في معنى العلاقات وغايات الوجود، فهو يعبّر بنشاطه عن المضمون العملي والسلوكي في السعي لتحكيم منهج الله في الحياة قال تعالى: ﴿**قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ يَهْدِىْ بِهِ اللَّهُ مِنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ**﴾(٣٣)، فالعقل هو أداة الإنسان للمعرفة والعلم والأداء في عالم الشهادة، ولا يسعنا أن نذكر هذا الجانب الإيجابي الذي يستقر في القلب والذي يلعب

دوراً كبيراً في التكامل مع بصيرة العقل لتوجيه الاختيار لنمط سلوكي معين يتفق والغايات التربوية الإسلامية المأمولة[٣٤]، فالإنسان كائن غائي وإن حياته عبارة عن سلسلة متصلة من الدوافع التي تدفعه وتوجهه إلى القيام بعمل أو الاستمرار فيه، فحالة الجوع تدفعنا إلى البحث عن الطعام والحصول عليه، وحاجتنا إلى الأمن والمحبة والتقدير تدفعنا إلى كثير من التصرفات كالتجمع في مجموعات، والاهتمام بأنفسنا ومظهرنا إلى ما لا حد له من أنماط سلوكية تؤثر في حياتنا أفراداً وجماعات. وقد شغل هذا الموضوع كثيراً من المفكرين في مجال التربية والتعليم وعلم النفس والإدارة وعلوم الحياة، وظهرت نظريات متعددة اهتم أصحابها بتفسير موجهات السلوك الإنساني ومدى ارتباطها بعملية الإدراك باعتبار الإدراك هو سبيل اتصال الإنسان بمن حوله وما حوله. ولقد زوّد الله الإنسان بقوى فطرية لإنجاز عملية الإدراك وأمدّه بمعينات الإدراك الحسي والعقلي وهي السمع والبصر والفكر، والإنسان مطالب بتوظيفها حسب ما تسمح به قدراته وإمكانياته واستعداده وميوله قال تعالى: ﴿**قَدْ جَآءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظ**﴾[٣٥]، ولكي تحدث عملية الإدراك، لابد من وجود العالم الخارجي المملوء بالأشياء والموضوعات ووجود الذات التي تدرك وبذلك يتوجه السلوك الإنساني بمدى التفاعل الحي بين الذات والموضوع[٣٦]، من هنا نجد أن السلوك الإنساني يتوجه في ضوء التربية الإسلامية من خلال:

١- حرية الاختيار في التربية الإسلامية:

إن منظومة السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية تجمع بين الجبر والاختيار في أن الإنسان مسيّر ومخيّر معاً حيث نبّه الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه "شفاء العليل" في الباب التاسع والعشرين أن الإنسان في هذا الوجود يعيش بين قضائين: كوني وشرعي، فما كان كوني متعلق بربوبيته وخلقه وهي السنن الإلهية التي يجري الكون على أساسها وهي ثابتة متحققة على مستوى الكون كله. أمّا الشرعي فهي تتعلق فيما أمر به الله وشرعه لعباده والتي وضح بها علاقة الإنسان بالخالق وبالوجود(٣٧).

وفي هذا يذكر إخوان الصفا "أن القدر هو تقدير الباري سبحانه وتعالى الأشياء على الصورة التي هي بها أشياء، خارجة من العدم إلى الوجود، مرتبة في أماكنها لا يعدو بعضها بعضاً، منتظمة انتظام الحكمة على صحة التأليف، ونظام التركيب لا يسبق بعضها بعضاً ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾، والقدر هو وضع الشيء في موضعه اللائق به... والقضاء هو ما أوجب في الحكمة من العناية بالعالم من تكليف الاستطاعة الموجودة فيهم من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾(٣٨)، لأن ذلك جعله في قواهم وفطرتهم عليه، وكان تكليفهم لعباده ما سواه من خلقه أشد وأعظم لأنه ليس في طباعهم ولذلك عذبهم لما عدلوا عما في طباعهم، وما هو مجبول في أصل فطرتهم إلى تكليف ما ليس في طبعهم ولذلك وجب الحد على عن عدل كما هيء له إلى تكليف عالم مهيأً له(٣٩)،

فالإنسان في نظام الوجود يمتلك نوعاً من الحرية والاختيار في أفعاله السلوكية بما وهب الله له من قدرات واستعدادات لذلك كما وأصبح كائنا مميّزا بهذه الحرية التي منحها الله سبحانه وتعالى له بعد أن وهبه الملكة العقلية التي يستطيع بواسطتها أن يميز بين الحق والباطل بين الخير والشر بتوجيه من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿**قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بَوَكِيْل**﴾(٤٠). فالإنسان مسؤول أمام الله مطالب بتحكيم منهج الله والالتزام بأوامره الشرعية وطريق الصراط المستقيم الذي رسمه لعباده، كما وأن هذه الحرية في الاختيار ابتلاء، فسلوك الإنسان يجمع ما بين الحرية والمسؤولية حرية في الاختيار ومسؤولية حين الجزاء والثواب(٤١)، كما وأن إرادة الله سبحانه وتعالى تتدخل في عمل الإنسان بناء على أخلاقه وطبيعة سلوكه من صلاح أو فساد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾(٤٢)، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ**﴾(٤٣).

٢- حرية الإرادة في التربية الإسلامية:

الإرادة هي القوة العاصمة التي بها يستطيع الإنسان أن يضبط سلوكه، فهي قوة دافعة ومانعة للعمل تعمل على هدي الملكة العقلية وإرشادها لا على دافع الحاجة وانطلاقها، فالإنسان بملكته العقلية

يوجه إرادته وأن قوة إرادة تستمد من رجاحة فكره وقدرته على الحكم والتمييز للأمور، ومن أجل أن تحقق التربية الإسلامية غاياتها وأهدافها فهي تحتاج إلى أشخاص يمتلكون الإرادة القوية المتحملة الصبورة الثابتة الراسخة تستمد قوتها من قوة الحكم المنطقي للملكة العقلية بعيدا عن العواطف والأهواء. فالملكة العقلية هنا قائدة للإنسان موجهة لسلوكه مترفعة عن الخضوع للدوافع والحاجات الآنية المنبثقة من العاطفة، والإنسان في تفاعله مع الوجود وما يتضمنه من مواقف ومشكلات وأمور متعددة، ينبغي أن تتوجه إرادته توجهاً تربوياً إسلاميا وفق ما يأتي:

١- التوكل على الله في جميع أعمالنا وأفعالنا التي ترضي الله سبحانه وتعالى، فهي فرض على المسلمين في كل أحوالهم الشرعية وكقوة دافعة مع الأخذ بالأسباب والمسببات.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(٤٤).

قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ**﴾(٤٥).

٢- المسؤولية التي تترتب على حرية الاختيار للإنسان، فعليه أن يعي حدود الحرية التي وهبها الله له والقدرة على تحمل هذه المسؤولية.

٣- إرادة الله مع إرادة الإنسان في تنفيذ الأعمال الخيّرة.

٤- الإرادة هي تجسيد عملي تتحول من خلالها الإمكانات الذاتية إلى وجود موضوعي واقعي يتمثل بنشاط الإنسان وتفاعله مع الوجود.

٥- تتوجه إرادة الإنسان من تدخل جانب شعوره بالواجب.

٦- تتوقف القدرة على الاختيار على مستوى الإدراك العقلي وما يمكنه من التنبؤ بنتيجة أفعاله.

٧- القدرة على الاختيار ينمو ويزداد كلما نمت المعرفة الإنسانية وأصبحت أكثر وعيا وإدراكا بحقيقة الوجود والكون والحياة. إن حرية الاختيار لأفعال الإنسان وما يترتب عليها من نتائج ومسؤوليات يعتبر الأصل الأول من أصول العدل الإلهي في حساب الإنسان، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيْدِ**﴾(٤٦).

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يُضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ**﴾(٤٧).

البعد الثاني: مقومات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية:

ترتبط مقومات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية بما يلي:

١- الدوافع كمقومات للسلوك الإنساني.

٢- الغايات كمقومات للسلوك الإنساني.

٣- مصير الإنسان كمقومات للسلوك الإنساني.

١- الدوافع كمقومات للسلوك الإنساني:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُودِع في مخلوقاته خصائص وصفات تؤهلها لأداء وظائفها في هذا الوجود، من تلك الخصائص ما تسمى بالدوافع، والدوافع كما يعرِّفها علماء النفس التربوي على أنها "طاقة كامنة في الكائن الحي التي إذا ما استثيرت دفعت الكائن الحي إلى نشاط معين محققاً أهداف معينة"(٤٨) وهناك من يعرف الدافع على أنها "العلاقة الديناميكية بين الكائن الحي وبيئته"(٤٩).

وفي ضوء ذلك صنف الدوافع إلى دوافع أولية (فسيولوجية، بيولوجية) كالحاجة إلى الطعام والشراب .... ودوافع ثانوية (مكتسبة) وهي ما تسمى بالدوافع الاجتماعية حيث تنمو داخل المجتمع كالميول والاتجاهات، فالدوافع هي قوى محركة تبعث النشاط في الكائن الحي ليحقق أهدافاً معينة وقد بين الله سبحانه وتعالى أن حقيقة الإنسان مركب من مجموعة من الشهوات والحاجات التي تدفعه باستمرار إلى القيام بأنماط سلوكية معينة لاشباع تلك الحاجات والشهوات التي جبلت عليها الذات الإنسانية(٥٠). قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾، وبما أن الدوافع تحمل في طياتها اتجاهين في النفس الإنسانية السلبية والإيجابية، فقد أودع الله في الإنسان قابلية النزوع إلى الشر بنفس القوة التي أودع فيه قابلية الاستقامة على طريق الخير، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**

فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(٥٢).

إن تنمية الدوافع الفطرية تحتاج إلى كدح وجهاد وبفعالية لتيار الشهوات الدافق، فاهتمت التربية الإسلامية بتنمية الدوافع عن طريق إثارتها وتهذيبها سواء الاجتماعية منها والنفسية من خلال مبدأ الثواب والعقاب وكذلك دعت إلى تربية الفرد أولاً على التقوى والتطلع إلى ثواب الآخرة والخوف من عذابها. فسلوك الإنسان يتأرجح بين ما يرجو وبين ما يخاف، فالخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما في أعماق النفس الإنسانية يوجهان سلوك الإنسان ليحقق أهدافه.

فالتربية في ضوء النهج الإلهي توجه هذين الدافعين بما يربي النفس ويقويها ويقومها ويشفيها، فنجد أنها تمتص الخوف وتحوله إلى إيمان كالخوف من الموت قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(٥٣)، وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ**﴾(٥٤).

وحتى لا يخاف الإنسان من النتائج المجهولة المبنية على واقع معلوم قال تعالى: ﴿**وَعَسَىٰٓ أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَنْ تُحِبُّوْا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ**﴾(٥٥). فالذي ينبغي أن نخاف منه حقاً هي القوة بيدها كل شيء: هي المانحة والمنعة وخوفها واجب وخشيتها هي السبيل(٥٦). وما يخوفنا به الله ويحذرنا منه وينبغي تجنبها هو اتباع

دروب الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلاَ تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾(٥٧).

أما الرجاء فهي الآمال والطموحات والتوقعات التي توجه سلوك الإنسان نحو الطريق الصحيح، فالإنسان يرجو ويطمح كثيراً من ألوان النعيم في الأرض والدين الإسلامي منع الإنسان من التخلي عن الدنيا قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللَّهِ الَّتِيْ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ﴾(٥٨)، ولكن في نفس الوقت أن لا يغلوا الإنسان في طريق الشهوات حتى تسيطر عليه فينقاد إليها دون أي تفكير أو تعقل فتفتنه وتبعده عن الطريق الصحيح، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَئَابِ﴾(٥٩). كما وتدعو التربية الإسلامية إلى تحرير الملكة العقلية من الخضوع للنزوات والشهوات التي تبعدها عن التفكير السليم بل إطلاقها لتوجه دوافع الإنسان للفوز برضا الله ونعيم الآخرة.

٢- الغايات كمقومات للسلوك الإنساني:

يسعى الإنسان في غاياته إلى إشباع حاجاته المتعددة والمتجددة فالحاجات المرغوبة هي التي يتجه إليها الإنسان ويسعى إلى إشباعها، كما وصنف علماء النفس الحاجات إلى تصانيف عديدة، فنجد أنهم صنفوا الحاجات الإنسانية إلى ثلاثة أصناف هي:

الحاجات الفسيولوجية، الحاجات الاجتماعية، وحاجات الذات، وهناك من صنفها إلى صنفين هي: الحاجات الأولية (الأساسية) والحاجات الثانوية، فالحاجات الأولية تتعلق بالحاجات المادية والتي من خلالها الحفاظ على العنصر البشري، أما الحاجات الثانوية فهي تشمل حاجات الانتماء وحاجات الذات وهي حاجة الفرد لوجوده مع مجموعة من الأفراد(٦٠) وفي هذا نجد ماسلو قد رتب الحاجات الإنسانية على شكل هرم تشغل قاعدته الحاجات الفسيولوجية حتى تصل إلى القمة حيث توجد حاجة الإنسان لتحقيق الذات فالحاجات الفسيولوجية اعتبرها الحاجات الأساسية للعنصر البشري، وإذا ما أشبعت حاجة بدرجة كافية سرعان ما تظهر حاجة أخرى إلى أن تصل إلى حاجة تحقيق الذات وهي تمثل أعلى مراحل الإشباع عند ماسلو والتي بها يحقق الفرد أقصى ما يمكن تحقيقه(٦١)، من هناك نجد الأمور المادية والاجتماعية أموراً أساسية يجب تأمينها للجميع في ظل نظرية ماسلو للحاجات.

إن الفكر الإسلامي لا يتّفق مع مدرسة ماسلو في الترتيب الهرمي للحاجات واعتماد العليا منها على الأدنى منها دائما، كما وإن طبيعة الحاجات المرغوبة التي يتجه إليها الإنسان تكتسب صفاتها بهداية الملكة العقلية وتحكيمها للأمور وفقاً لمنهج الله سبحانه وتعالى: فالغاية الأولى والأساسية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها هي عبودية الله وكسب رضاه والفوز بنعيم الآخرة وهي نهاية تطلع الإنسان إلى أعلى المراتب قال تعالى: ﴿**قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ**

اللَّهِ نُوْرٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ يَهْدِيْ بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ﴾(٦٢). كما وإن هذه الدوافع تتحكم في جميع الدوافع الأخرى، وفي الوقت الذي اعتبر الإسلام الحاجات الأخرى هي أمور أساسية يجب تأمينها للجميع أفراداً وجماعات بعيدا عن الكبت أو تجاوز الحدود(٦٣)، ابتداءا من الحاجات الأساسية لحفظ الذات وبقاء النوع قال تعالى: **﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِيْ الْأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾**(٦٤)، بل اعتبر التقصير في تلبيتها إلى درجة تؤدي إلى الاضرار بالذات جريمة قال تعالى: **﴿وَلاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ﴾**(٦٥)، في الوقت الذي يحذر الفرد وينصحه بالابتعاد عن البذخ والإسراف قال تعالى: **﴿وَلاَ تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾**(٦٦)، وبذلك نظم الإسلام حياة الفرد في المجتمع، كما ودعا إلى ضبط دافع التملك ونهي عن الشح واكتناز الأموال والربا وأكل أموال الناس بالباطل في الوقت الذي أمرنا بالإنفاق في سبيل الله قال تعالى: **﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُوْنَهَا فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾**(٦٧)، وقال تعالى: **﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَآ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيْرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ﴾**(٦٨).

٣- مصير الإنسان كمقومات السلوك الإنساني:

من المسائل التي أثارت اهتمام الإنسان عبّر العصور هي مصير الإنسان بعد رحلة حياته، لذا نجد أن قضية البعث والخلود من القضايا التي لها الأثر العميق في حياة البشر ومشاعرهم وعلى معتقداتهم وأنماط سلوكهم، وأن شواهد العقل على أن هذا المخلوق له مصير الخلود، فالموت هو نقطة الانتقال بين الحياتين الدنيا والآخرة، وإذا ما أدى الإنسان دوره في الحياة وحقق وجوده على نحو ما أراد الله سبحانه وتعالى فهو سيحظى بالنعيم الدائم في الحياة الآخرة.

نجد أنّ فهم الإنسان ووعيه من خلال ملكته العقلية يدعوه إلى التماس طريق الخير في دنياه لكي يصل إلى الثواب في الآخرة، وتحقيق هذه الغاية، لايتم إلا من خلال التزامه بالحكمة والعفة والفضيلة وهذه هي السعادة الحقيقية التي تدفع سلوك الإنسان لتحقيق غايته الأسمى وهو الفوز بجنات النعيم وتبعده عن اتباع الملذات والشهوات الدنيوية محققا بذلك السلوك الإنساني الصحيح. وقد بيّن العامري العلاقة بين طبيعة السلوك الإنسان وسعادته، حيث ذكر أن هناك نوعان من السعادة، أحدهما سعادة أدنى تتمثل في الفضيلة الخلقية وسعادة أعلى تتمثل في الفضيلة العقلية فإذا التزم الإنسان هذه الفضائل في حياته وصل إلى الحكمة(٦٩).

وكما يوضح الله سبحانه وتعالى مراحل خلق الإنسان ومصيره فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بعد أن لم يكن له وجود،

كما وبين مراحل الخلق التي يمر بها الإنسان من تراب وماء مهين مروراً بالمضغة والعلقة حتى يردُّ قسم منهم إلى أرذل العمر(٧٠) ومن ثم خوض تجربة الموت و أن الله سيبعثه بعد الموت لينال جزاؤه الأوْفَىٰ حسب ما أدى الإنسان من دور وسلك من سلوكيات في الحياة الدنيا وبما يحقق غاية وجوده، فالإنسان في حياته الدنيا يحتكم لشرع الله في توجيه سلوكه وأحواله فالدنيا هي دار عمل وابتلاء(٧١) قال تعالى: ﴿**وَمَآ أُوْتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِيْنَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَّأَبْقَىٰ أَفَلاَ تَعْقِلُوْنَ**﴾(٧٢). وقال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَمْشِيْ مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَّمْشِيْ سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ**﴾(٧٣).

فالشخص المسلم العاقل سيدرك أن عليه أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى أي يؤثر الآخرة على الحياة الدنيا فيوجه طاقاته العقلية والحسية إلى الالتزام بالنهج الإلهي القويم وأوامره.

البعد الثالث: غايات السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية:

ارتبط وجود الإنسان بوجود العالم كله، وأن ما يجري في هذا الوجود من قوانين وأنظمة وسنن وأحداث قدرها الله سبحانه وتعالى إنما هي لتيسير مهمة الإنسان وتحقيق غاية وجوده، فالغاية القصوى من الوجود الإنساني تتمثل في:

١- الإسلام لوجه الله وتحقيق العبودية له وابتغاء رضاه:

قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنَ**﴾(٧٤).

فالغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله والتوجُّه إليه في كل أمر، والعبادة بمفهومها الشامل ليست مقصورة على مناسك التعبد من صلاة وصوم وحج وزكاة فحسب بل إنها أعمق من ذلك فهي الصلة الدائمة بين الإنسان والخالق سبحانه وتعالى في كل الأحوال وفي مختلف الظروف وكل جوانب الحياة بما تتضمنها من سلوكيات أو أنماط تفكير لكسب الثواب والفوز بنعيم الجنة. فيوجه الإنسان جميع أفعاله وأعماله وسلوكياته لوجه الله فهو الكمال والخير الأسمى ولله المثل الأعلى، والعبادة الحقة هي التي يكون صاحبها بين الخوف والرجاء، الخوف من الله والتذلل له ورجائه والطمع في رحمته(٧٥)، قال تعالى: ﴿**وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ**﴾(٧٦). قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَآءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَّقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُوْا رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾(٧٧). فسلوك العبد الصالح تارة يمد الرجاء والرغبة، فيتطلع شوقاً إلى الله، وتارة يقبضه الخوف والرهبة فيخشى الله تعالى.

٢- الوفاء بمهام الاستخلاف:

من أجل إقامة الحياة الإنسانية الكاملة، لابد من مهام يقوم بها الإنسان والتي تستند على أسس ومبادئ موحى بها، فقبل هبوط آدم عليه السلام على الأرض وعده الله سبحانه وتعالى بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه كي يعرّف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه، ووعد المستجيبين لدعوة الله بالهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة(٧٨) وتوعد المستكبرين بالمعيشة الضنكة في الدنيا وبالشقاء في الآخرة

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوْا مِنْهَا جَمِيْعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُـدًى فَمَـنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيْهَـا خَـالِدُوْنَ﴾(٧٩) وقـال تعـالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيْعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّيْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْـرِيْ فَـإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً وَّنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِـمَ حَشَـرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْراً قَالَ كَذَلِـكَ أَتَتْـكَ آيَاتُنَـا فَنَسِـيْتَهَا وَكَذَلِـكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾(٨٠).

كما وأن هذا البشر لم يـترك سـداً بـل سخّر الله لـه مـا فـي الوجود لخدمته كما وبعث الرسل والأنبياء لإرشـاده وتعليمـه ووهبـه الفكر ليسـير علـى هديـه وهـذا مـا ميّزه عـن المخلوقـات الأخـرى، فالإنسان كائن يسعى ويتطلع إلى غايات يوجه أفعالـه لتحقيقهـا، مـن أجل أداء رسالته فـي الحيـاة التـي قدرهـا اللـه لـه ومنحـه الإمكانـات والقدرات لأدائها، والقيام بمهام الاستخلاف والتي تعني العمـل بـأمر الله وتحكيم شريعته وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه للفـوز برضـا اللـه قـال تعـالى: ﴿وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلآئِكَـةِ إِنِّـيْ جَـاعِلٌ فِـي الْأَرْضِ خَلِيْفَـةً﴾ وقـال تعـالى: ﴿وَعَـدَ اللَّـهُ الَّذِيْـنَ آمَنُـوْا مِنْكُـمْ وَعَمِلُـوْا الصَّالِحَـاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِـي الْأَرْضِ﴾، ومـن أجـل قيـام الإنسـان بالأعمال الموكلة له لابد وأن:

١- يؤدي واجباته نحو الله سبحانه وتعالى كما بيّنها اللـه لـه فـي محكم كتابه العزيز.

٢- يستخدم قدراته وإمكاناته العقلية ليحقق وجوده كإنسان يختلف عن المخلوقات الأخرى.

٣- يعمل بجد متواصل في طلب العلم والمعرفة دون ملل أوكلل.

٤- يعمل على إرساء دعائم المجتمع الإسلامي.

٥- يجعل القيم الإسلامية هي المحور الأساسي في توجيه سلوكياته وأفعاله ونهج حياته ككل.

البعد الرابع: معايير السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية:

ولكي تتحقق رسالة وجود الإنسان على الأرض، لابد وأن تخضع أفعاله وسلوكياته لمعايير تعتمد على قواعد وضوابط وتعتبر بمثابة موجهات عامة تضبط لدى الناس سلوكياتهم. إن مرجعية معايير السلوك في التربية الإسلامية هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي تجمع بين القيمة والسلوك كما وأنها تتوافق مع طبيعة البناء الاجتماعي للإنسان في تفاعله الاجتماعي داخل المجتمع، فكل عمل أو فعل أو قول أو سلوك لابد من ان يعلم ما حكم الإسلام فيها[٨٣]، فالمنهج الإسلامي رسم المسالك الصحيحة للمعايير والموازين لتقييم كل ما في الحياة الدنيا وما يجري فيها عن الكون والحياة والإنسان كما وجعل العقل مدركا لمعانيها ومفاهيمها[٨٤]، فبصيرة الملكة العقلية لها دور كبير في اختيار أفضل مسارات الفعل بما يحقق الغايات الإسلامية المامولة قال تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوْا يَآأُوْلِى الْأَبْصَارِ**﴾[٨٥]. فمعايير الضبط الاجتماعي تخضع للحكم المنطقي للملكة العقلية كما وأن الخطاب القرآني هو خطاب للملكة العقلية

الإنسانية لاستخلاص تلك المعايير التي يقوم عليها السلوك والمنبثقة من القواعد الشرعية الربانية المصدر والمنهج وربانية الغاية والقصد والتي تسعى إلى ربط القلوب مع الله والأخذ بأيديهم إلى السلوكيات الاجتماعية السليمة على السنة النبوية الشريفة. وكلما زاد وعي الإنسان كلما أصبح أكثر علماً بالمضمون الخلقي للسلوك، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(٨٦) وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٨٧).

فالأحكام القيمية الإسلامية تستند إلى الأخلاق الإسلامية في تكوينها وإلى الملكة العقلية والضمير في تقرير مصيرها فالملكة العقلية تدرك المغزى في ضوء مقومات الموقف الاجتماعي وغايات السلوك فيه، والضمير يدرك المغزى في ضوء الغايات النهائية للسلوك بما يتفق والنهج الإسلامي(٨٨). فالسلوك الخلقي الإسلامي من أجل غاية معينة في موقف ما إنما ينطوي على غاية أخرى يبتغي بها وجه الله تعالى، وبذلك تعتمد صياغة المعايير على إيمان الفرد وتقواه ثم يترجم هذا الإيمان إلى عمل صالح يفيد الفرد والمجتمع. فالإيمان يرتبط بالجانب الوجداني تلك القوة الفطرية التي تجعل الفرد المؤمن يشعر بالرضا إذا سلك طريق الخير وبالندم إذا سلك طريق الشر والملكة العقلية تدرك لتختار أفضل المسالك والضمير يقدر المغزى الخلقي لاختيارات الملكة العقلية وبذلك يقدّر الخير والشر. فالضمير

يدفع إلى الخير وينزع عن الشر والإرادة بقوتها تفعل أو تترك حسبما توجهها الملكة العقلية والضمير(٨٩).

نتائج الدراسة :

إن من السمات المميزة للإنسان هي ملكته العقلية وما يرتبط بها من عمليات عقلية كالفهم والاستيعاب والتمييز والتفكير والتحليل والاستنباط، كما وإن لعملية الإدراك العقلي دور كبير في البناء المعرفي عند الإنسان والذي من خلاله يتوجه السلوك الإنساني لتحقيق غاياته وأهدافه المتجدّدة. فالإنسان لا يندفع إلى عمل ما إلا من خلال اعتماده على أسس وركائز في ضوئها يحدد اختياره ويوجه دوافعه نحو ممارسة السلوك المرغوب فيه ويبعد عن السلوك الغير مرغوب فيه، إن أسس السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية شيدت في ضوء حقائق جاءت من عند الحق سبحانه وتعالى والتي يتوجه السلوك الإنساني من خلال إدراكها، من هنا توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من الأسس العامة تبيّن دور الملكة العقلية في توجيه السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية وهي:

الأساس الأول: تكامل المعرفة في توجيه السلوك الإنساني:

إن نظرة الإنسان إلى الوجود لا تكتمل إلا بتكامل المعرفة لديه والتي تمكّنه من إدراك حقيقة ذاته وعلاقتها بالوجود. حرص القرآن الكريم على توجيه وتحفيز الإنسان ودفعه إلى البحث في مصادر المعرفة المختلفة وعناصرها الرئيسة وهي الوحي والفطرة والملكة العقلية، والآيات القرآنية الحكيمة تدعو الإنسان وتحرك في

نفسه طلب النظر والاعتبار إلى ما في السموات من نظام بديع محكم لتعزز بذلك الفطرة الإيمانية السليمة الخيرة التي فطر الله الناس عليها، تلك الفطرة التي توجه أفعال الإنسان وتحقق غاياته فهي تدفع الإنسان وتوجهه لتحقيق وظيفة وجوده التي يتطلع بها الإنسان إلى معرفة أسرار خلقه وغاية وجوده وعبادة خالقه باتباع أوامره واجتناب نواهيه تلك المعرفة التي تتكامل مع المعرفة الوحيية وتوافقها المعرفة العقلية التي تصدر من الملكة العقلية السليمة، وبذلك يندفع إلى ممارسة أنماط سلوكية من أجل البقاء وتعمير الأرض ليحقق مهمة استخلافه عليها، كما وأن معرفة النفس ما هي إلا إحدى الوسائل التي تدفعنا لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِيْ الآفَاقِ وَفِيْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٍ**﴾(٩٠).

الأساس الثاني: الدوافع الكامنة وارتباطها بالسلوك الإنساني:

إن القيمة المعنوية للسلوك الإنساني تأتي من نية فاعله وغايته والتي ترتبط بالقوة الوجدانية الداخلية التي أودعها الله في الإنسان وكرمه بها وميّزه على غيره من المخلوقات الأخرى. فالقوة الوجدانية المرتبطة بالملكة العقلية لها أثر كبير في توجيه السلوك نحو الخير وتبعده عن الشر كما وإنها تسبق الفعل وتهيمن على الإنسان في كل أحواله وتراقبه في أفعاله وتقارن الفعل وتلازمه بالتشجيع على الخير والتحذير من الوقوع في الشر كما وتنزع إلى الندم إذا وقع في الإثم.

فتنمية الوجدان وجعله يقظاً لا يتم إلا من خلال التربية الإسلامية التي تخاطب وجدان الإنسان المقترن بالقلب فيرتبط القلب بذكر الله وتقواه والخشوع له. فالفرد المسلم يعتمد في سلوكه على هداية الله له فهو يعيش مع الله في كل الأوقات والله وسبحانه وتعالى أقرب إليه من حبل الوريد، وإذا ابتعد الفرد عن منهج الله فإن قلبه سيتعرض للارتياب والشك مما يؤثر على إرادته في اتخاذ القرار وتوجيه سلوكه وعمله فتضعف بصيرته علماً إن الإنسان هو المسؤول عن نتائج أفعاله وسلوكياته كما ويشهد عليها بنفسه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيْرَةٌ**﴾(٩١)، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ**﴾(٩٢)، قال تعالى: ﴿**لاَ يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُوْنَ**﴾(٩٣).

الأساس الثالث: التبين والتثبت في السلوك الإنساني:

منح الإسلام الإنسان قدراً كبيراً من الحرية في اختيار أفعاله وتوجيه نمط سلوكه، كما وجعله مسؤولاً عن حريته من أجل الفرد والآخرين للمحافظة على نقاء المجتمع. فاتخاذ القرارات الصائبة في المواقف السلوكية الاجتماعية المختلفة يتطلب تنمية الاستقلال العاطفي وأن لا تؤثر العلاقة الشخصية أو المشاعر الخاطئة أو الظنون والأوهام في سلوكياتنا وأفعالنا. وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بتوجيه سلوكيات المسلمين إلى العدل في التعامل مع بعضهم البعض مع ضرورة التثبت والتثبت قبل أن تصدر أي ردود أفعال قد تكون

عاقبتها غير محمودة. قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَأَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوْا إِعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾(٩٤).

كما وإن السلوك الصحيح لا بد وأن يرتكز على المعرفة البينة الحقة بعيداً عن الظن والشك قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاءٍ فَتَبَيَّنُوْا أَنْ تُصِيْبُوْا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوْا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِيْنَ﴾(٩٥). قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَّلاَ تَجَسَّسُوْا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾(٩٦).

الأساس الرابع: الواقعية في السلوك الإنساني:

من اجل دعم تماسك المجتمع ليصبح قادرا على الاستمرار في أداء وظيفته واحتواء واستيعاب ثقافة العصر وتجاوزها إلى مرحلة الإبداع لا بد من معرفة الواقع وما يحيط بالإنسان من ثروات مادية وتسخيرها بما يتوافق مع معطيات الإسلام كما وأن صفة السلوك الإنساني وظيفية تعمل فيه شخصية الإنسان كل متكامل متفاعل من خلال اندماج الخبرة الماضية مع معطيات الواقع بما يتناسب ويتفاعل مع المواقف المختلفة التي تواجه الإنسان والتي تمتزج فيه العوامل الموضوعية بالعوامل الذاتية، فالإنسان في سعيه لمصالحه في هذه الحياة الدنيا لا بد وأن تكون له عوناً على ذكر الله وكسب رضاه ومن ثم الخلود في جنات النعيم. قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيْهِمْ

تِجَارَةٌ وَّلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيْتَآءِ الزَّكَاةِ يَخَافُوْنَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(٩٧).

كما وأن السلوك الإنسان المتوازن هو الذى لا يقف توظيفه عند حدود الحياة الدنيا، بل يتجاوز ذلك إلى الحياة الآخرة الأبدية والتي فيها الاستقرار والخلود والتي عندها يحفظ الإنسان المسلم توازنه ويحقق إنسانية ودوره وفاعليته علماً أن الإسلام بيَّن الفُرُوق الفردية بين الأفراد حيث تختلف قدرات الأفراد واستعداداتهم ومواهبهم ودعا إلى عدم تكليف النفس أكثر من طاقتها، قال تعالى: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهَ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**(٩٨). فلا يجوز أيضا تحميل الملكة العقلية الإنسانية أكثر من طاقتها التي وهبها الله لها خاصة في الأمور التي لا تقوى عليها بل على الإنسان أن يؤدي الواجبات المكلف بها بقدر طاقته وقدراته واستعدادته الإنسانية، فالعمل الذي يطلبه الإسلام من الفرد عملاً واقعيا، متوازناً وملائماً لطبيعة الإنسان بعيداً عن المبالغة ومتفقاً مع طاقة ملكته العقلية التي منحها الله سبحانه وتعالى له تلك التي تجعل الفرد مندفعاً قوي الهمة للقيام بأعماله وأفعاله الموكله له قال تعالى: **﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تَسْأَلُوْا عَنْ أَشْيَآءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**(٩٩).

الأساس الخامس: الشمولية في السلوك الإنساني:

الإنسان كائن اجتماعي إضافة إلى ما يتمتع به من نزعة فردية، فهو شديد الحرص على شخصيته المستقلة باعتبار فرداً، كما وأنه يشعر من ناحية أخرى بحاجة إلى الانتماء الاجتماعي، فالإسلام منح

الفرد من الحقوق ما يتعلق بذاته في الوقت الذي فرض عليه الواجبات تجاه الجماعة التي ينتمي إليها، فالإنسان فرد في جماعة ولا يكون فعله إلا فيها ولا وجود له إلا بها. وقد وضع الإسلام مبادىء أساسية في هذا المجال وعمد إلى إقامة وبناء علاقات اجتماعية سليمة حتى يتوفر الجو المناسب للفعل في مجتمع متضامن متماسك.

فالإسلام يعلن فردية الإنسان باعتباره مسؤولاً عن نفسه قال تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِيْ الرَّحْمَنُ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ ءَاتِيْه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾(١٠٠). وقال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ**﴾(١٠١). قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ**﴾(١٠٢).

كما ويؤكد القرآن الكريم على المسؤولية الاجتماعية، فيصور المجتمع الإسلامي كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً في الوحدة الاجتماعية وفي الإخاء بين أبناء المجتمع قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ**﴾(١٠٣) وفي التعاون الاجتماعي قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَآتَّقُوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ**﴾(١٠٤). وأنماط سلوكية اجتماعية أخرى كالمودة والرحمة والترابط والتضامن والشورى وغيرها.

الأساس السادس: التكامل في السلوك الإنساني:

يشمل السلوك الصادر عن الإنسان جوانب شخصيته المعنوي والمادي من عقل ونفس وجسم ولاشك فيه أن كل جانب من هذه

الجوانب يؤثر في الأخر ويتأثر به حتى يصدر السلوك، فالملكة العقلية المدركة الواعية والتي رفع الله سبحانه وتعالى من شأنها وكرم بها الإنسان إلى درجة التشريع عن طريق الاجتهاد باعتبار الملكة العقلية هي المحكم في إثراء المسائل العملية بأحكام شرعية ليصل الإنسان إلى اتخاذ القرار الصحيح، فالملكة العقلية توجه جوارح الإنسان للقيام بعمل ما وهي التي عنها يصدر السلوك الإنساني ويعمل بأمرها، كما ويستطيع الإنسان أن يتحكم بشهواته ورغباته لتصبح تابعاً لها وليس متبوعاً وبذلك تتحقق إنسانيته التي كرمه الله بها.

يصدر السلوك الإنساني من بواعث الملكة العقلية وهذا يتم من خلال تفاعل المدركات العقلية مع الوجدان ليكون قوة دافعة وموجهة للفعل الإنساني وفق مسارات اتخذت قرارها النهائي من الملكة العقلية، فالملكة تعطي تصوراً قيمياً لنمط السلوك يوجه النشاط الإنساني في إطاره لتحقيق غاية سلوكية خلقية. فالتكاملية تعني الوحدة نبين الذات وأفعالها والإسلام ينظر إلى الأفعال الخلقية بنظرة تكاملية قولاً وفعلاً. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِيْنَ ءآمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيْلاً**﴾(١٠٥). وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُوْنَ نَقِيْراً**﴾(١٠٦)، وقال تعالى: ﴿**يَقُوْلُوْنَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُوْنَ**﴾(١٠٧).

الأساس السابع: فردية واجتماعية السلوك الإنساني:

في الوقت الذي تهتم التربية الإسلامية في توجيه السلوك الفردي توجيها سليما إلا أنها في الوقت نفسه توجه هذا السلوك ليصب في المجتمع ليصبح الفرد والمجتمع في موقف واحد كل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر لتحقيق غاية الوجود الإنساني، كما وإن مستوى السلوك الاجتماعي لا ينبثق إلاَّ من خلال طاقات الأفراد وقدراتهم على تحمل المسؤولية واستيعاب المتغيّرات داخل المجتمع. واستقامة تفكير الإنسان ينطلق أساسا من قواعد ومعطيات الإسلام فينظّم علاقته بالآخرين من أبناء المجتمع وبذلك يسهم في بناء حضارة إنسانية أسمى صورها، فالإسلام لا يضم الفرد على حساب الجماعة ولا الجماعة على حساب الفرد، قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾(١٠٨).

فالتربية الإسلامية تهدف إلى إقامة وبناء علاقات اجتماعية سليمة حتى يتوفر للفرد البيئة المناسبة لإنجاز سلوكه والقيام بأفعاله على أحسن وجه وعلى أسمى المستويات الخلقية. كما وإن رعاية النمو الاجتماعي للفرد المسلم لايتم إلا من خلال تشكيل سلوكه وتوجيه طرق تعامله مع الآخرين في إطار المتغيرات الاجتماعية المختلفة بدءاً من الوسط الأسري الاجتماعي كعامل مهمّ في تربية الفرد وانتهاءاً بالتعامل مع الآخرين داخل المجتمع.

قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّامِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ

فَقِيْراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوْا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوْا وَإِنْ تَلْوُوْا أَوْ تُعْرِضُوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْراً﴾(١٠٩)، وقال تعالى: **﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّامِيْنَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوْا إِعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾**(١١٠).

الأساس الثامن: السلوك الإنساني بين النظرية والتطبيق:

إن العقيدة الإسلامية ليست مجرد الفاظ بل هي إيمان يتبعه سلوك، إيمان يحرّر الإنسانَ من الخرافات والأوهام وحتى من نفسه إلا بحق ويدعوه للانفتاح نحو حقيقة الوجود. فالإيمان بالله له قوة دافعية إيجابية والتي تعتبر بحق من أقوى الأسس والمرتكزات في هذا الوجود، التي تدفع وتحرك الطاقة الإنسانية للمشاركة الفاعلة في الأعمال الحسنة بدءاً من علاقة الإنسان وخالقه والتي تهدف إلى تحقيق غاية وجوده لقيام حضارة إنسانية إسلامية عالمية وفقاً للمنهج الإلهي المنير، فالآيات القرآنية الحكيمة نجدها توصى الإنسان وتحدد له منهجية سلوكه في الوجود والتي تحمل في ثناياها قواعد أخلاقية يجب التمسك بها والسير بمقتضاها.

قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوْآ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾**(١١١).

كما وإن سورة الإسراء في القرآن الكريم حملت في ثناياها آيات حكيمة توصي الإنسان وتوجهه إلى القيام بأفعال وسلوكيات خلقية ترتضيها وتوافق عليها وتحتكم إليها ملكته العقلية والقرآن

الكريم نظام لحياة الإنسان ومنهج يسير عليه في سلوكه وفي علاقته بالآخرين، فيبشر المحسنين لأنفسهم في سلوكهم الإنساني على العموم وينذر الظالمين بسوء جزائهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً ءآخَرَ فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْماً مَدْحُوْراً**﴾(١١٢) كما ويربط القرآن الكريم غفران الله وقبوله للتوبه بتوبة التائب عن عمله السيء والتزامه حين توبته بإرادة قوية فاعلة تعمل على تغيير عمله في نوعه وفي أسلوبه نحو الأحسن.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ عَمِلُوْا السُّوْٓءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوْٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ**﴾(١١٣).

فالأركان الخمسة الرئيسية التي بني عليها الإسلام جميعها تتطلب سلوكاً عملياً وإن تمام كمال الإنسان المسلم أن تتطابق اقواله مع أفعاله فاهتمت التربية الإسلامية بتكوين العادات السلوكية الحسنة للفرد لما لها تأثير على شخصه وعلى علاقته بالآخرين في المجتمع.

الخاتمة:

الإنسان هو أكرم خلق الله، إذ ميّزه بملكية العقلية والإرادة والقدرة على التصرف في الكون والحياة بما أودع فيه من فطرة الإدراك والتدبر والتدبير وفق ما علمه من نواميس الوجود وأسبابها ومسبباتها، كما وأن الصفة العلوية الأسمى التي ميزت بها هي صفة الإرادة الحرة وقدرتها على التوجيه والهداية بالخيار الحر الذاتي بتوجيه من ملكته العقلية التي جعلها الله أداة للإنسان للإدراك والفهم

والنظر والتلقى والتمييز والموازنة فهي وسيلة لأداء مسؤولية في الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة.

تعددت الآيات القرآنية صراحة وإشارة إلى مخاطبة الملكة العقلية والفكر المرتبط بها للنظر والبحث والتأمل والتفكير وجميعها مهام سلوكية أمر الله عباده للقيام بها وجعلها فريضة على الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى في هذا الوجود، وجعل الله سبحانه وتعالى الملكة العقلية الواعية والمدركة الحكيمة أساساً للنجاة من النار والفوز بالجنة فهي التي تقود الإنسان وتوجه سلوكه وتدعوه إلى القيام بالأفعال وتنبهه من الوقوع في الخطأ فيبتعد عن المعاصي، فالملكة العقلية تتحرك في اتجاه إيماني واتجاه سلوكي في وقت واحد انطلاقا من مقدار إيمانها بحقائق الوجود كما وإنها تعلو بإدراكها عن الأشياء المحسوسة فيفكر الإنسان في المعاني المجردة. فالشخص العاقل هو الذي يستطيع التحكم في أفعاله وسلوكه ويضبطها ضبطا دقيقا ويخضعها لأمر الله سبحانه وتعالى وهدي دينه وصراطه المستقيم للفوز بنعيم الجنة.

في الوقت الذي يخضع السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية لقوى داخلية تقودها الملكة العقلية فإنه يخضع أيضا لقوى خارجية بيئية تشتمل على عوامل ثقافية واجتماعية يسير بمقتضاها السلوك الإنساني من خلال تفاعله مع الآخرين وفقا لمقومات وموجهات وغايات أساسية رسمتها الشريعة الإسلامية. وقد توصلت الدراسة إلى أسس توجيه السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية

وهي: تكـامل المعرفـة، الدوافـع الكامنـة التبيـن والتثبيـت، الواقعيـة، والشمولية، التكاملية، الفردية والاجتماعيـة، والسـلوك الإنسـاني بيـن النظرية والتطبيق.

هـوامش

١- سورة التين، آية: ٤.

٢- سورة الاسراء، آية: ٧٠.

٣- سورة الذاريات، آية: ٥٦.

٤- **منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية**، د. مجاهد محمد حريري، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٧٨م، ص ٢٠٥.

٥- سورة آل عمران، آية: ٨٥.

٦- سورة العلق، الآيات: ٣،٤،٥.

٧- سورة الروم، آية: ٣٠.

٨- **حديث نبوي شريف رواه مسلم في صحيحه:** ٤/٢٠٤٧ ورقمه ٢٦٥٨.

٩- سورة الغاشية، آية: ٢١.

١٠- سورة البقرة، الآيات: ٣٠-٣٣.

١١- **تربية الناشئ المسلم**، د. علي عبدالحليم محمود، دار الوفـاء للطباعـة والنشـر، المنصورة، ١٩٩٢م، ص ٢٦٨-٢٦٩.

١٢- **أصـول التربيـة الإسـلامية وأسـاليبها فـي البيـت والمدرسـة والمجتمـع**، عبـدالرحمن النحـلاوي، دار الفكـر المعـاصر، بـيروت، لبنـان، ١٩٩٥م، ص١١٧-١١٩.

١٣- سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠-٢١.

١٤- سورة الاسراء، آية: ٣٦.

١٥- **مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي**، د. عمر التومي الشيباني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ١٩٨٧م، ص ٧٥.

١٦- سورة البقرة، آية: ١٩٧.

١٧- سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

١٨- سورة الملك، آية: ١٥.

١٩- سورة النحل، آية: ٧٨.

٢٠- **تربية الناشيء المسلم**، د.علي عبد الحليم محمود، مصدر سابق، ص ٢٧٧-٢٧٨.

٢١- سورة الإنسان، آية: ٣.

٢٢- **من المعرفة إلى العقل**، د. محمد الصباحي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤٣-٤٤.

٢٣- المصدر السابق، **من المعرفة إلى العقل**، ص ٦٣.

٢٤- المصدر السابق، **من المعرفة إلى العقل**، ص ١٢٠.

٢٥- المصدر السابق، **من المعرفة إلى العقل**، ص ١٧٨.

٢٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، المجلد التاسع، كتاب النطق، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، السعودية، ١٩٩١م، ص ٢٨٦-٢٨٧.

٢٧- **مفتاح دار السعادة ومنشور دلالة العلم والإرادة**، لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص ١١٧.

٢٨- **مفتاح دار السعادة**، المصدر السابق، ص ١١٧.

٢٩- **تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث**، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٣٤-٣٥.

٣٠- سورة الأنفال، آية: ٢٢.

٣١- سورة ابراهيم، الآيتان: ٢٤-٢٥.

٣٢- **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، د. عبد الودود مكروم، تقديم د. عبدالرحمن النقيب، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢١٨.

٣٣- سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

٣٤- **توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي**، مقداد يالجن، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص ١٤٤.

٣٥- سورة الأنعام، آية: ١٠٤.

٣٦- **الطبيعة البشرية في القرآن الكريم**، د. لطفي بركات أحمد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨١م، ص ١٨.

٣٧- **مسألة القضاء والقدر**، عبد الحليم محمد قنبس وخالد عبد الرحمن العائد، دمشق، ١٩٧٩م، ص ١٥١-١٥٣.

٣٨- سورة الإسراء، آية: ٢٣.

٣٩- **إخوان الصفا**، د. مصطفى غالب، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص١٤٥-١٤٦.

٤٠- سورة يونس، آية: ١٠٨.

٤١- **مفاهيم أساسية في التربية الإسلامية والاجتماعية**، عطية محمد عطية وآخرون، دار الفكر للنشر والتوزيع، الاردن، ١٩٩١م، ص ١١١-١١٣.

٤٢- سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

٤٣- سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

٤٤- سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

٤٥- سورة المائدة، آية: ٢٣.

٤٦- سورة فصلت، آية: ٤٦.

٤٧- سورة يونس، آية: ١٠٨.

٤٨- **علم النفس التربوي**، د. أحمد زكي صالح، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م، ص ٣٣٧-٣٣٨.

٤٩- **التعلم، دراسة نفسية تفسيرية توجيهية، رمزيه الغريب**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م، ص ٤٩٨-٤٩٩.

٥٠- **أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلاميا وفكريا**، د. حسن الحياري، دار الأمل للنشر، اربد، ١٩٩٣م، ص ٧٢-٧٣.

٥١- سورة ق، آية: ١٦.

٥٢- سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

٥٣- سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

٥٤- سورة سبأ، آية: ٢٤.

٥٥- سورة البقرة، آية: ٢١٦.

٥٦- **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، د. عبد الودود مكروم، مصدر سابق، ص ٦٢-٦٣.

٥٧- سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

٥٨- سورة الأعراف، آية: ٣٢.

٥٩- سورة آل عمران، آية: ١٤.

٦٠- **السلوك الإنساني**، د. إبراهيم العمري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م، ص١٧٦-١٧٨.

٦١- **السلوك الإنساني**، المصدر السابق، ص ١٨٣-١٨٥.

٦٢- سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

٦٣- **تربية الناشئ المسلم**، علي عبد الحليم محمود، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٨.

٦٤- سورة البقرة، آية: ١٦٨.

٦٥- سورة النساء، آية: ٢٩.

٦٦- سورة الأعراف، آية: ٣١.

٦٧- سورة التوبة، آية: ٣٤.

٦٨- سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

٦٩- **الإنسان في الفلسفة الإسلامية**، دراسة مقارنة في فكر العامري، د. منى أحمد أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ٢٨٣-٢٨٥.

٧٠- **أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية**، د. حسن الحياري، دار الأمل، إربد، ١٩٩٤م، ص ٥٨-٦١.

٧١- **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، د. عبد الودود مكروم، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م، ص ٨٩-٩٣.

٧٢- سورة القصص، آية: ٦٠.

٧٣- سورة الملك، آية: ٢٢.

٧٤- سورة الذاريات، آية: ٥٦.

٧٥- **العقيدة في الله**، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ١٩٩٥م، ص٢٦٠-٢٦١.

٧٦- سورة الإسراء، آية: ٥٧.

٧٧- سورة الزمر، آية: ٩.

٧٨- **العقيدة في الله**، مصدر سابق، ص ٢٧٠.

٧٩- سورة البقرة، الآيتان: ٣٨-٣٩.

٨٠- سورة طه، الآيات: ١٢٣-١٢٦.

٨١- سورة البقرة، آية: ٣٠.

٨٢- سورة النور، آية: ٥٥.

٨٣- **تربية الناشئ المسلم**، مصدر سابق، ص ٣٢٣.

٨٤- **مسألة القضاء والقدر**، مصدر سابق، ص ١٣٥-١٣٧.

٨٥- سورة الحشر، آية: ٢.

٨٦- سورة المائدة، آية: ١٥.

٨٧- سورة إبراهيم، آية: ١.

٨٨- **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، مصدر سابق، ص ٢٩٣.

٨٩- **أصول التربية**، أحمد علي الفنيش، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م، ص١١٠.

٩٠- سورة فصلت، آية: ٥٣.

٩١- سورة القيامة، آية: ١٤.

٩٢- سورة التغابن، آية: ١١.

٩٣- سورة التوبة، الآيتان: ٤٤-٤٥.

٩٤- سورة المائدة، آية: ٨.

٩٥- سورة الحجرات، آية: ٦.

٩٦- سورة الحجرات، آية: ١٢.

٩٧- سورة النور، آية: ٣٧.

٩٨- سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

٩٩- سورة المائدة، آية: ١٠١.

١٠٠- سورة مريم، الآيات: ٩٣-٩٥.

١٠١- سورة المدثر، آية: ٣٨.

١٠٢- سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

١٠٣- سورة الحجرات، آية: ١٠.

١٠٤- سورة المائدة، آية: ٢.

١٠٥- سورة النساء، آية: ١٢٢.

١٠٦- سورة النساء، آية: ١٢٤.

١٠٧- سورة آل عمران، آية: ١٦٧.

١٠٨- سورة الطور، آية: ٢١.

١٠٩- سورة النساء، آية: ١٣٥.

١١٠- سورة المائدة، آية: ٨.

١١١- سورة الإسراء، آية: ٢٣.

١١٢- سورة الإسراء، آية: ٣٩.

١١٣- سورة النحل، آية: ١١٩.

المـراجـع

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم العمري، **السلوك الإنساني**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

٣- ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشورات دلالة العلم والارادة** لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١.

٤- أحمد بن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، المجلد التاسع، كتاب المنطق، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، السعودية، ١٩٩١م.

٥- أحمد زكي صالح، **علم النفس التربوي**، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.

٦- **إخوان الصفا**، تقديم مصطفى غالب، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٧- حسن الحياري، **أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية**، دار الأمل، إربد، ١٩٩٤م.

٨- حسن الحياري، **أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلاميا وفكريا**، دار الأمل للنشر، إربد، ١٩٩٣م.

٩- رمزية الغريب، **التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

١٠- عبد الحليم محمد قنبس وخالد عبد الرحمن العك، **مسألة القضاء والقدر**، دمشق، ١٩٧٩م.

١١- عبد الرحمن النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

١٢- عبد الودود مكروم، **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، تقديم عبدالرحمن النقيب، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٣- عطية محمد عطية، زهير أحمد سعيد، رضا محمد نصر وآخرون، **مفاهيم أساسية في التربية الإسلامية والاجتماعية**، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩١م.

١٤- علي عبد الحليم محمود، **تربية الناشئ المسلم**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩٢م.

١٥- عمر التومي الشيباني، **مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ١٩٨٧م.

١٦- عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، دار النفائس، الأردن، ١٩٩٥م.

١٧- لطفي بركات أحمد، **الطبيعة البشرية في القرآن الكريم**، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨١م.

١٨- مجاهد محمد حريري، **منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية**، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٧م.

١٩- محمد المصباحي، **من المعرفة إلى العقل**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٠- محمد سعيد رمضان البوطي، **تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث**، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٩٠م.

٢١- مقداد يالجن، **توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي**، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

٢٢- منى أحمد أبو زيد، **الإنسان في الفلسفة الإسلامية دراسة مقارنة في فكر العامري**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.